

إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ (1)

فوعل من الكثرة المفرطة وهو صيغة مبالغة وهو صفة لمحذوف أى الخير الكوثر ومذهب الجمهور أنه نهر فى الجنة قال - صلى الله عليه وسلم - « هل تدرون ما الكوثر » قالوا الله ورسوله أعلم القيامة آنيته عدد الكواكب يختلج العبد منهم فأقول يا رب إنه من أمتى فيقال إنك لا تدري ما أحدث بعدك ويروى يذاد عنه رجال من أصحابي فأقول يا رب أصحابي فيقال ما تدري ما أحدثوا بعدك ، فأقول فقال قد أعطيت الكوثر قلت يا رسول ما الكوثر قال نهر فى الجنة عرضه وطوله ما بين المشرق والمغرب لا يشرب منه أحد فيظماً ولا يتوضأ منه أحد فيشعت أبداً ، لا يشرب منه من أخفر ذمتى ولا من قتل أهل بيتى ، وعن عائشة هو نهر فى الجنة عمقه سبعون ألف فرسخ ماؤه أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل شاطئاه الدر والياقوت والزبرجد خص الله به نبيه محمداً - صلى الله عليه وسلم - من بين الأنبياء عليهم السلام وقالت ليس أحد يدخل إصبعة فى أذنيه إلا سمع خير ذلك النهر أى صوته كصوت الأذنين إذا سدتا ، وعن أنس عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « دخلت الجنة فإذا أنا بنهر حافتاه خيام اللؤلؤ فضربت بيدي غلى ما يجرى فى الماء فإذا مسك أذفر قلت ما هذا يا جبريل؟ قال هذا الكوثر الذى أعطاكه الله تعالى وقيل هو حوضه فى المحشر ينصب فيه ماء من عينه فى الجنة » قيل هو قريب من الجنة حيث يحتبس أهلها ليحالوا من المظالم بينهم فى الأرض المبدلة ، وعلى نهره فى الجنة طير أعناقها كأعناق الجزور قال عمر هى ناعمة فقال - صلى الله عليه وسلم - « اكلها أنعم » وعنه - صلى الله عليه وسلم - حوضى كما بين جرباء وأدرج وهما قريتان فى الشام بينهما ثلاثة أيام ويروى كما بين صنعاء والمدينة ويروى ما بين المدينة وعمان بفتح العين وشد الميم موضع فى الشام ويروى ما بين صنعاء وأيلة ويروى ما بين صنعاء والمدينة ، ويروى ما بين أيلة وعدن واختلاف الروايات يدل على أن المراد التمثيل

بالوسع لكل أحد بما يعقل وبين أيلة والمدينة خمس عشرة مرحلة وأيلة آخر الحجاز وأول الشام والمخصوص به هو هو الذى فى الجنة وأما فى المحشر فلكل نبى حوض وأنهم يتباهون أيهم أكثر واردة وإنى ارجو أن أكون أكثرهم واردة ، وقيل الكوثر أولاده لأن السورة رد على من قال أبت ، وقيل أصحابه وأشياعه إلى يوم القيامة وقيل علماء أمته ، وعن الحسن أنه القرآن وفضائله لا تحصى وقيل تيسير القرآن وتخفيف الشرائع ، وقيل الإسلام ، وقيل التوحيد ، وقيل النبوة ، وقيل نور قلبه - صلى الله عليه وسلم - وقيل العلم والحكمة ، وقيل إثارة غيره على نفسه فى المنافع ، وقيل فضائله ، وقيل المقام المحمود ، وقيل الخبر الكثير والنعم الدنيوية والأخروية من الفضائل والفواصل وما خص فهو تمثيل لا حصر ومعنى أعطيناك الكوثر ملكناكه من الآن وستقبضه يوم القيامة وفى هذا غنى عن قولك الماضى ، بمعنى المضارع ، وفى الخطاب مزيد تعظيم وتبشير وأنه مجرد فضل ولو قيل أعطينا الرسول أو النبى أو نحو ذلك من المشتقات فرما توهم أنه أعطيه لمضمون ذلك المشتق من الرسالة أو النبوة أو نحو ذلك .

فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ (2)

{ فَصَلِّ لِرَبِّكَ } الصلوات الخمس وغيرها كصلاة العيد والضحية خلافاً لمن يصلى لغير الله وينحر لغير الله تعالى .

{ وَانْحَرْ } ما قدرت عليه من الأنعام ولا سيما البدن والضحية وتصدق بها على المساكين وغيرهم لأجل ذلك الإعطاء شكراً له وخلافاً للساھين عن الصلاة وللذى يدع اليتيم ويمنع الماعون ، والجمهور على أن المراد نحر الأضاحى وقيل نزلت لصلاة عيد الأضحى ونحر الضحية ، وقيل أمر بصلاة الصبح فى مزدلفة والنحر بمنى ، وقيل النحر وارجع فى الحديثية فخطب وصلى ركعتين ونحر وفى البيهقى والحاكم وابن أبى حاتم وابن مردويه سأل رسول الله

- صلى الله عليه وسلم - عن النحر جبريل فقال رفع يديك أى إلى نحرك عند كل تكبيرة في الصلاة وإن ذلك صلاتنا معشر الملائكة وزينة الصلاة قلنا هذا حديث موضوع لو صح للزمه النبي - صلى الله عليه وسلم - أو أكثر منه في صلواته وكذلك الصحابة ولم نجد حديثاً صحيحاً في أنه فعله ولا في صحته ثم رأيت ابن كثير قال إنه حديث منكر جداً وابن الجوزى قال إنه موضوع وكذا حديث ابن جرير عن أبي جعفر مرفوعاً أنه رفع اليدين عن تكبيرة افتتاح الصلاة وحديث البخارة وغيره أنه وضع يمينك على يسارك ثم وضعهما على صدرك في الصلاة وكذا في البيهقي عن أنس وجماعة عن ابن عباس كل ذلك موضوع لا يصح فهذه الأمة كلهم يعملون بنحو الضحية وغيرها في هذه الآية ، ومر ذكر أن سنة القرآن ذكر الزكاة بعد الصلاة وما ذكرته قريب منها بخلاف الحمل على رفع اليدين وبخلاف ما ذكره الضحاك من أنه رفعها إلى النحر للدعاء بعد الصلاة وهو كلام غير حديث وكان المشركون يصلون وينحرون للأوثان فأمرنا الله تعالى أن نصلى له وننحر له .

إِنَّ شَائِنَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ (3)

{ إِنَّ شَائِنَكَ } مبغضك مطلقاً كالعاصي بن وائل كما فسر ابن عباس والجمهور وعقبة بن معيط كما فسر به شمر بن عطية وكأبي جهل كما فسر به بن عباس في رواية وكمشركين قالوا أبتَر لما مات ابنه إبراهيم في رواية عن أبي أيوب ، وكأبي لهب كما فسر به عطية ، وعن ابن عباس كعب بن الأشرف وجماعة من قريش ، ويروى أنه دخل مكة وقالوا له إنك سيد المدينة ونحن أهل الكعبة فنحن خير أم هذا الأبتَر أو نحن خير أم هذا الصنبور فقال أنتم فنزل فيه ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب إلخ ، وفيهم إن شائتك هو الأبتَر والصنبور ما ينبت في أصل النخلة يقطع فتستريح منه هكذا محمد نستريح منه إذا مات ، وقيل الوحيد الضعيف

الذى لا ناصر له لا قريب ولا بعيد ، والصحيح العموم بل هؤلاء التخصيصات سبب النزول
وسببه لا يمنع عموم الحكم وشأنه اسم فاعل للاستمرار فشمّل الماضي أو هو للماضى
فإضافته محضة فصح الإخبار عنه بالمعرفة ومجىء ضمير الفصل وإن جعلنا هو مبتدأ فالخبر
جملة لا معرفة فيجوز حمله على المضى أو على الحال أو على الاستقبال أو الاستمرار وعلى
كل حال المراد من استمر على البغض فيخرج من تاب .

{ هُوَ الْأَبْتَرُ } المنقطع النسل والذكر الحسن وأما أنت فذريتك وحسن ذكرك وآيار فضلك
باقية كثيرة ملأت الأرض إلى آخر الدهر والحمد لله تعالى ولك في الآخرة ما لا تحيط به دائرة
وانقطع نسل هؤلاء الشائنين له ولم يبق لهم ابن ولا بنت وقيل انقطع نسل بعض حقيقة ونسل
بعض حكماً بأن أسلم فقطع الإسلام بينه وبين أبيه وجده لا يلحق أباه ولا جده دعاء ولا
عمل صالح منه وأكبر ولده - صلى الله عليه وسلم - القاسم ثم زينب ثم عبد الله ثم أم كلثوم
ثم فاطمة ثم ورقية رضى الله عنهم ، مات القاسم بمكة ثم مات عبد الله فقال العاصي انقطع
نسله فهو أبتَر وكان عقبة يقول لا يبقى لمحمد عقب فهو أبتَر ، وعن أبي أيوب لما مات إبراهيم
ليلاً قال بعض المشركين لبعض إن هذا الصابىء قد بتر الليلة واعترض نسبة ذلك إلى أبي جهل
بأنه مات لعنه الله قبل موت إبراهيم ولا أسلم هذا الاعتراض لظهور أن إبراهيم مات قبل بدر
وأبا جهل في بدر والسورة مدنية عند الجمهور وهو الصحيح قال أنس أغفى رسول الله -
صلى الله عليه وسلم - إغفاءة فرفع رأسه مبتسماً فقال أنزل على أنفا سورة فقرأ سورة الكوثر
وقيل نزلت بمكة ونزلت أيضاً والمدينة ، أسألك اللهم أن تسقني من الكوثر والله المستعان
وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم